كارثة في قنا

[دهم السيل مدينة قنا فدمر وشرد. . . . قال الشاعر هذه القصيدة في ٣١ ديسمبر كانون أول سنة ١٩٥٤ ومدينة قنا في جنوب مصر، بين أسيوط وأسوان].

أطلَّ الردى من فيض تلك السحائبِ ... ولم أرها قبلًا لغير المواهبِ
أكان فَنَاءُ الكون مبدؤُهُ «قِنا» ... وقد صُدقتْ فيه نبوءةُ كاذب[1]
وهل تلك لليوم العظيم دلائلٌ ... سيتبعها فيه انتثارُ الكواكب[2]
ألمَّ بها للرعبِ والموت نازلٌ ... على قدَرٍ مما قضى اللهُ غالب
وطاف عليها طائفٌ لا ترُدُّه ... قناةٌ، ولا تخشى قراعَ الكتائبِ

* . * . * . * . *

تخيلتُهُم والموتُ يُنشبُ سيلُه ... بأعناقِهم منونةً من مخالب
وقد زمجرَ الدَّفَّاعُ فانهار شامخ ... لبنيانهم واندكَّ من كل جانب[3]
فيا رُبَّ طفلٍ تحت أنقاضِ منزلٍ ... تدقُّ عليه الأمُّ صدرَ النوادب
تولتْ وفي الأضلاعِ نارٌ ولوعةٌ ... بها الذعرُ قد أبداهُ خفقُ الترائب
ورَبَّهِ خدرٍ كان يُخفي نقابُها ... سنى البدرِ في ظلِّ السيوف القواضب

---

(١) وقعت كارثة السيل في وقت انتشرت فيه نبوءة عراف بقرب فناء العالم.
(٢) يقصد بذلك يوم القيامة.
(٣) الدفاع : السيل الجارف.

تراءتْ لأبصارِ الجميعِ وأسفرت ... مروِّعةً خافتْ سهام المعاطب
وذي غاقةٍ في موكبِ الرعبِ قد بكى ... بأقعب مذخورٍ من القوت ذاهب
فلم أدرِ هل سبيل الدمار الذي بدا ... يهددهم أم ذاكَ دمعُ المصائب

* .* .* .* .*

قنا هل رأيتِ الحشر: كيف لهوْلِهِ ... يفرُّ الفتى عن صحبِهِ والأقارب
وهل أبصرَ السكانُ ما شأنُ يومه ... وكيفَ ينالُ الطفلَ شيبُ الذوائب
قضوا ليلهم قد كحلَّ النومُ جفنَهم ... على أملٍ بالخير لا بالنوائب
فما طلعتْ شمسٌ ولا أشرق الضحى ... على غيرِ فرَّارٍ من الخطب هارب
يكاد وهولُ النائبات يلُفُّه.. ... تضيقُ عليه الأرضُ ذاتُ المناكب
وأصبحَ معهودُ المسالِكِ أبحُراً ... تموجُ بهدَّارٍ من الموت صاخب
حنانيك رحمنَ السماء فقد كفاهُم ... وكفانا ما بدا من متاعب
فليسَ لهم من أمرك اليوم عاصمٌ ... سوى رحمةٍ تجلو ظلامَ الغياهب
وما قومُ نوحٍ همْ، فما بال موتهم ... على يدِ طوفانٍ من الماءِ ساكب
فأقلعِ عن التسكابِ يا غيثُ وابلعي ... مياهَكَ يا ذاتَ الثرى والمسارب
عجبتُ لقطرٍ قبلَه الريُّ شاملٌ ... وكم من فمٍ من بعد أن فاضَ ناضب
فإنْ نحنُ يوماً قد مددْنا لهمْ يداً ... فطائلُ ما يُعطَوْنَهُ بعضُ واجب

* .* .* .* .*